الفصل الحادى عشر

التحول فى تركيب جماعات الصفوة ومواقفها فى السياق المعاصر للريف المصرى

مقـــدمة :

كشف التحليل الميدانى الذى قدمناه فى الفصلين السابقين ـ بشكل صريح فى بعض الأحيان وضمنى فى أحيان أخرى ـ عن حقيقتين تتصل احداهما بتركيب جماعات الصفوة والاخرى بمواقفها الاجتماعية :

ـ فيما يتصل بتركيب جماعات الصفوة اتضح ان الصفوة القديمة الموجودة الآن فى القرية قد ضمت بين عناصرها فئات توالت على مجتمع القرية خلال العقود الثلاثة الماضية : عناصر من البرجوازية الزراعية • وعناصر من الطبقة الوسطى ، وعناصر من البرجوازية الجديدة التى افرزتها فترة السبعينات • كما ضمت الصفوة الجديدة عناصر من الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا من ذوى الميول العلمانية أو الميول الدينية المتطرفة • ومن الملاحظات التى يمكن ترتيبها على هذه الحقيقة أن الصفوة القديمة قد نجحت فى تحقيق استمراريته ، بحيث لم يخلق التنافر بين مكوناتها ظروفا تؤدى الى انقطاع تكوينها ، واعنى تغييرها تغييرا جذريا • وفى مقابل ذلك ، أدى التحول البنائى الذى طرأ على المجتمع ككل الى ظهور انقطاع فى تكوين الصفوة الجديدة ، بحيث بدأت عناصرها فى التحلل والاندماج فى البناء القائم بشكل كامل ، لتحل محلها صفوة جديدة ذات طبيعة مغايرة تتخذ من التطرف الاسلامى اطارا لنضالها •

ـ وفيما يتصل بمواقف الصفوة ، اتضح ـ قياسا على استمرارية

التركيب لدى الصفوة القديمة ـ أن هناك قدرا من الاتساق فى موقف الصفوة القديمة · وهو اتساق نابع من قدراتها الانتهازية ، أعنى قدرتها على تلوين نفسها حسب طبيعة الظروف المتاحة والموقف المحيط · وفى هذه الظروف نجدها تكسب أرضا جديدة مع كل نظام ، وتحقق لنفسها سيطرة مع كل عقيدة · وفى مقابل هذا ، اتسمت مواقف الصفوة الجديدة بتحول بادى ، لم يكن سببه كامن فقط فى تغير الظروف المحيطة ، بل كان يكمن أيضا فى الحراك الاجتماعى الذى حققته هذه الصفوة وما ترتب على ذلك من تغير فى دافعيتها ووعيها ·

ويستهدف هذا الفصل الكشف بتفصيل أكبر عن مظاهر الاستمرار والانقطاع فى تركيب جماعات الصفوة ، والأسباب الكامنة خلف وجود أى منهما ، ونتائج ذلك فيما يتعلق بوضع جماعة الصفوة وثقلها · وربما يكون ذلك هدفا ثانويا يوصلنا الى الهدف الأساسى لهذا الفصل ، وهو يتصل بالكشف عن درجة الاتساق وعدم الاتساق فى مواقف الصفوة ، بمعنى درجة التحول التى تطرأ على موقف أى من الصفوتين وارتباط ذلك بتركيب كل منهما وخصائصهما العامة من حيث مستوى الوعى وهو ما تؤكد عليه المجموعة الثالثة من فروض هذه الدراسة · ومن شأن ذلك أن يكشف لنا عن أسباب الاتساق أو التحول فى موقف أى من الصفوتين ، وظواهر هذا الاتساق أو ذلك التحول ، والنتائج المترتبة عليهما فيما يتعلق باستمرارية الصفوة أو انقطاعها ، وفيما يتعلق بثقل كل جماعة فى مواجهة الجماعة الاخرى ·

وسوف نتجه نحو تحقيق هذه الغاية من خلال عرض بعض البيانات الاثنوغرافية الميدانية المعتمدة على الملاحظة والمقابلة ودراسة الحالة ، (١) وان كنا سوف نعتمد على بعض البيانات التى عرضت فى الفصلين السابقين أو

---

(١) اقتصرت دراسة الحالة على عناصر من الصفوة الجديدة فى القريتين وذلك بغرض التعرف على درجة التحول فى موقف أى منهم وأسباب هذا التحول · وقد اشتملت دراسة الحالة على ثمان حالات ، أربعة من كل قرية ·

حتى فى التحليل التاريخى وذلك لتحقيق أهداف التحليل وترابطه فى هذا الفصل • وسوف يدور الحديث هنا هنا حول عنصرين أساسيين :

أولا : الصفوة القديمة : استمرارية التركيب وانساق الموقف •

ثانيا : الصفوة الجديدة : انقطاع التركيب وتحول الموقف

أولا : الصفوة القديمة : استمرارية التركيب وانساق الموقف

اتضح من تتبع تركيب الصفوة القديمة أن هذا التركيب يتسم بالاستمرارية بالرغم من أن هذا التركيب قد تغير من حيث الشكل • ويمكن القول هنا أن الصفوة القديمة قد حافظت على استمرارية تركيبها مع تغيير أهمية بعض فئاتها على الفئات الأخرى وفقا لطبيعة الظروف المحيطة • ولا يعنى ذلك أن الصفوة القديمة تقوم دائما بعملية احلال بعض عناصرها مكان العنصر الآخر ، ولكنه يعنى أنها تنجح دائما فى توليد عناصر من داخل الطبقة التى تنتمى اليها ـ أو حتى من الطبقات الأخرى ـ بحيث تؤدى وظيفة هذه الصفوة وفقا للظروف الجديدة مع الاحتفاظ بالعناصر القديمة لتقدم مزيدا من التدعيم والتأييد للعناصر الجديدة ، ولتمنحها قوة على قوة ، وتشارك معها قدر المستطاع • وهكذا تكتسب الصفوة القديمة استمرارية وامتدادا فى تركيبها يحقق لها سيطرة مستمرة على مقدرات المجتمع الريفى •

أشارت البيانات التاريخية التى قدمناها فى الباب الثانى من هذا البحث الى أن التغير الذى طرأ على المجتمع المصرى بعد عام ١٩٥٢ قد أدى الى تقلص صفوة كبار الملاك وتقلص دورها الاقتصادى الاجتماعى • غير أن ظروف ما بعد ١٩٥٢ قد أفرزت صفوة برجوازية جديدة حملت اللواء من صفوة كبار الملاك وحققت نفوذا وقوة كبيرين فى عقد الخمسينات خاصة وأن الصفوة القومية قد مالت فى هذا العقد نحو التعاون مع هذه الصفوة البرجوازية الجديدة من واقع الاطار الأيديولوجى الذى حكم هذه الفترة • ولقد كان من المتوقع أن يتوقف تركيب هذه الصفوة عن الاستمرار بعد التغيرات التى

أدخلت على المجتمع بعامة بعد عام ١٩٦٠ (القطاع العام متمثلا فى التسويق التعاونى للقطن ، التوسع فى التعليم ، التنظيم الاشتراكى للممارسة السياسية) . غير أن ذلك لم يحدث بالفعل ، وكما كشف عن ذلك واقع القرية من خلال الدراسة الميدانية .

فقد نجحت هذه الصفوة البرجوازية فى أن تولد من داخلها عناصر استمرارها التى يمكن أن تواكب هذه الفترة . لقد وجدت هذه الصفوة نفسها أمام ظروف تسلبها الكثير من مؤشرات المكانة التى تعتمد عليها ، وعلى سبيل المثال فقد أصبح منصب العمدة غير ذى أهمية . ومثل ذلك يقال عن منصب شيخ البلد . كما بدأ الناس يغيرون من نظرتهم الى العمدة والى شيخ البلد . وبدأ النظام يبث - من خلال وسائل الاعلام - الشعارات التى تركز على الحرية والمساواة والعدالة . ولكن هذه الظروف وغيرها لم تكسر من شوكة الصفوة القديمة . فقد بدأت هذه الصفوة تواجه هذه الظروف الجديدة بأساليب حققت لها استمرارية ، ومن ثم حققت لها استمراريه فى الهيمنة والسيطرة .

فمن ناحية لم تتخل هذه الصفوة عن مناصبها القديمة خاصة مناصب العمد والمشايخ ، بالرغم مما طرأ على هذه المناصب من تغير فى درجة التأثير . بل حرصت هذه الصفوة على أهمية توارث هذه المناصب بحيث تظل مقصورة على أفراد معينين . ولقد حدث فى بعض الحالات أن أخذ بعض الافراد هذه المناصب دون وراثتها عن الأب والجد . فقد تغير عمدة القرية الثانية ، كما حصل بعض الافراد فى القريتين على مناصب مشايخ بلاد دون وراثة . وفى هذه الحالات ، كان الأمر يتم بموافقة العناصر القديمة أو بالأحرى بموافقة الافراد الذين لهم حق وراثة هذه المناصب . كما أن هذه المناصب لم تعط لأى شخص ، ولكن أعطيت لافراد يتمتعون بقدر من الاستقرار الاقتصادى . وحدث فى حالة واحدة فى القرية الاولى أن تنافس اثنان على منصب لمشيخة البلد ، وأخذ أحدهم هذا المنصب بالانتخاب . ولكن الصراع

هذا لم ينشب بين طرفين غير متكافئين وانما نشب بين طرفين من الصفوة القديمة ذاتها : وجملة القول أن الصفوة القديمة هنا تمسكت بمناصب العمد والمشايخ وتوارثتها ، أو اعطتها لعناصر قوية فى عدم وجود شخص يرث المنصب أو فى حالة تنافس عناصر قوية على هذه المناصب ٠

ومن الناحية الأخرى فقد هيأت هذه الصفوة من أبنائها ومن أبناء طبقتها بعض العناصر التى يمكن أن تواكب التغيرات الجديدة ، بحيث تستطيع أن تحتفظ بمزايا القديم والجديد فى آن ٠ واتجهت هذه العناصر وجهتين متمايزتين :

(١) اتجهت بعض العناصر نحو السيطرة على الجمعية التعاونية الزراعية التى تطبق قانون التعاون الجديد ٠ وكل هؤلاء من المزارعين الذين سيطروا على مجلس ادارة الجمعية الى درجة أن أصبح منصب مدير الجمعية ومنصب سكرتير الجمعية ومناصب الاعضاء حكرا على بعض الافراد (ظل منصب رئيس الجمعية فى القرية الاولى حكرا على شخص واحد حتى وفاته ، وحل محله شخص آخر ظل حتى استقال ليعمل فى وظيفة بالجمعية نفسها ، وحل محله شخص ما يزال حتى الآن ٠ أما السكرتير فلم يتغير منذ أن أنشىء مجلس الادارة ، ونفس الشىء بالنسبة للاعضاء تقريبا وان كان بعضهم قد تغير بسبب الوفاة ، أما فى القرية الثانية فان رئيس الجمعية يشغل هذا المنصب منذ ما يزيد عن خمسة عشر عاما ، وان كان السكرتير والاعضاء قد تغيروا لا بسبب صراع وتنافس وانما بسبب انشغال بعضهم أو موته)٠ ولم تقتصر هذه الجماعة على السيطرة على مجلس الادارة بل حاولت أن تزرع فى بعض الوظائف فى الجمعية بعض الاقارب أو أقارب أولى القوة (لمجلس الادارة الحق فى تعيين الافراد فى الجمعية) ٠ وهكذا أصبح معظم الكتبة وأمناء المخازن ، والخفراء ، والفنيون ، وملاحظو مقاومة دودة القطن ، أصبحوا كلهم من

الاشخاص الذين يتوقع منهم التعاون الكامل مع مجلس الادارة وعدم افشاء أى أسرار خاصة بالجمعية ٠

(ب) اتجهت بعض العناصر الأخرى نحو السيطرة على تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية وعلى مستوى أعلى ان أمكن ٠ ومعظم هؤلاء من المتعلمين أو الفلاحين المستنيرين ٠ ولقد كشف تتبع انتخابات الاتحاد الاشتراكى فى القريتين عن أن الصفوة البرجوازية وامتداداتها متمثلة فى العناصر المتعلمة التى سعت الى اكتساب القوة من خلال الاتحاد الاشتراكى قد حظيت بنصيب الأسد من مقاعد لجان الاتحاد ، بل أنهم قد سيطروا عليه سيطرة تامة الى درجة أن أصبح منصبا الأمين والامين المساعد شبه متوارثين بالرغم من اختيار لجنة الاتحاد الاشتراكى من خلال الانتخابات٠

وهكذا استطاعت الصفوة القديمة أن تهيىء من عناصرها من يمكن لهم أن يتكيفوا مع النظام الجديد ومع أهدافه ، بحيث يتجه سلوكهم ومشاركتهم فى مؤسسات هذا النظام نحو خدمة مصالح صفوتهم وطبقتهم ٠ وبهذا استطاعت الصفوة أن تحقق لنفسها استمرارا ووجودا فى ظروف لا تتلاءم مع موقفها الاجتماعى ٠ ولم تقتصر هذه الاستمرارية على حقبة الستينات ، بل أنها كشفت عن وجه جديد لها فى حقبة السبعينات ٠ فعندما بدأ اتجاه التحول الاجتماعى يتخذ مسارا مغايرا ، وعندما بدأ نجم الاتحاد الاشتراكى العربى فى الافول ، ليدخل المجتمع المصرى مرحلة جديدة بدأت الصفوة القديمة تفرز من داخلها أو من داخل الطبقة التى تنتمى اليها ، أو حتى من داخل الطبقات الأخرى ، بعض العناصر التى تواكبت مع هذه المرحلة الجديدة ٠ وهؤلاء هم الاغنياء الجدد الذين بدأوا فى الانخراط فى المشروعات الرأسمالية أو المشروعات الطفيلية ٠ وبعض هؤلاء ينتمى لنفس العناصر التى حققت سيطرة فى العقد الماضى ، وبعضهم الآخر يعد جديدا كل الجدة على هذه الصفوة ٠ ولقد بدأ هؤلاء فى الانخراط فى الممارسة السياسية بنفس درجة انخراطهم فى المشروعات الرأسمالية ، وان كان بعضهم يؤثر عدم التدخل فى هذه الممارسة ، فانه موجود

بتمثله الاقتصادى • ومن المتوقع أن يلعب دورا أساسيا فى توجيه هذه الممارسة ويمثل هؤلاء الوجه الجديد للصفوة الذى انضم الى الوجوه القديمة التى لم يصبها الوهن •

ويشير هذا العرض السريع لتركيب الصفوة المعاصرة فى الريف الى حقيقة هامة مفـادها أن هـذه الصفوة قد نجحت بحق فى تحقيق مستلزمات استمرارها من خلال تدعيم تركيبها بعناصر جديدة ودماء جديدة تتواكب مع التغيرات المحيطة •فتعددالتغيرات وتتاليها لم يؤد الى تقويض الصفوةفىالريف واحلالها احلالا كاملا ، بل خلق نوعا من التعددية داخل هذه الصفوة • وهى تعددية أداتية بالنسبة لاستمرار هذه الصفوة كجماعة تحافظ على مصالح الطبقة المسيطرة فى الريف • ويمكن أن نستنبط من هذا حقيقة هامة هى أن التغيرات التى تحدث على نطاق قومى والتى قد تؤدى الى احلال صفوة محل صفوة أخرى لا تؤدى الى عملية احلال للصفوة عبر كل وحدات البناء الاجتماعى، وانما تؤدى الى تغيرات تكيفية حيث تستجيب العناصر القديمة استجابة تلاؤمية للتغيرات التى تحدث على مستوى قومى وتغير من تركيبها ومن مراتب الأولويات فيها بحيث تحقق لنفسها قدرا من الاستمرار والديمومة •

وتنعكس هذه الاستمرارية فى التركيب الاجتماعى على موقف الصفوة القديمة ، ودرجة اتساق هذا الموقف من عدمه • فبالرغم من أن المظهر العام لموقف الصفوة القديمة يبدو وغير متسق ، حيث يتغير بتغير الظروف والأحوال الا أن عدم الاتساق هذا ليس الا مجرد صورة ظاهرة لموقف يبدو باطنه أكثر اتساقا من هذا بكثير • فعدم اتساق الموقف هنا يجب النظر اليه على أنه شىء أداتى فيما يتعلق باستمرار الصفوة • بمعنى أن نجاح الصفوة فى تغيير موقفها طبقا لشروط الموقف بها يرتبط بمصلحة هذه الصفوة والطبقة التى تنتمى اليها • فهى تستوعب الظروف المتغيرة بحيث لا تستطيع تلك الأخيرة أن تستوعبها • ومن هنا تحقق الصفوة استمراريتها • وفى ضوء هذا التحليل يبدو موقف الصفوة المتغير متسقا من وجهة نظر الصفوة ذاتها وفى نطاق مصالحها واهدافها • ان تغير الموقف هنا يعتبر تغيرا فى «التكتيك» وليس تغيرا فى أصل الموقف •

ولقد كشف التتبع الميدانى لسلوك الصفوة القديمة بفئاتها المختلفة فى القريتين عن وجود هذا التقلب المتسق فى الموقف • فقد ناصرت هذه الصفوة ثلاثة أنظمة متعاقبة ومختلفة فى طبيعة توجيهها الأيديولوجي (أعنى هنا نظام ما قبل الثورة ، ونظام ما بعد الثورة ، والنظام الحالى) • ويوجد من بين أعضاء الصفوة من شارك فى الانشطة السياسية التى أتاحتها الانظمة الثلاثة على مستوى القرية كالعمد والمشايخ • ولكن الأهم من ذلك أن الكثيرين من أعضاء الصفوة فى القريتين كانوا أعضاء ضالعين فى الاتحاد الاشتراكى وهم الآن أعضاء ضالعين فى الحزب الوطنى أو المجالس المحلية • أما البعض الآخر الذى لا يؤثر الآن الممارسة السياسية الرسمية ، فانه تحول الى مناصر وأصبح يقوم بمهمة تنسيق الأمور وترتيبها بالنسبة للجيل الصاعد من الصفوة القديمة الذى ينشط الآن فى الممارسة السياسية (٢)» •

ويرتبط استمرارية تركيب الصفوة القديمة ، واتساق موقفها فى ضوء مصالحها ومصالح طبقتها ، بمجموعة من العوامل البنائية يمكن أن نجملها فيما يلى :

١ ـ عدم انتظام التغيرات التى تحدث داخل البناء الاجتماعى لا يؤدى الى عملية احلال كاملة للصفوة • فطالما أن التغير الذى يحدث داخل البناء لا يعتبر تغيرا جذريا ولا يلغى القديم الغاء كاملا بقدر ما يتخذ شكل « الاضافة » البنائية ، فمن المتوقع أن يتخذ التغير داخل تركيب الصفوة شكل « اضافة » جماعة جديدة دون الغاء الجماعات الأصلية • يبدو تنوع فئات الصفوة هذا وكأنه انعكاس مباشر للبناء الاجتماعى ، كما يبدو وكأنه شىء أداتى فيما يتعلق باستمرارية البناء نفسه •

٢ ـ يرتبط بذلك طبيعة علاقات القوة التى تفرضها الثقافة المصاحبة لهذا

«٢) يوجد فى الكثير من القرى بعض النواب الذين كانوا نوابا فى مجلس النواب أو الشيوخ ، ثم أصبحوا نوابا فى مجلس الأمة ، وهم الآن نواب فى مجلسى الشعب أو الشورى •

البناء المتعدد ، والتى تمثل ـ فى بعض أجزائها ـ عناصر من ثقافات قديمة تبقى لتلعب دورا فى اعادة انتاج البناء • وتميل علاقات القوة هذه نحو فرض القوة المطلقة القائمة على السيطرة والاحتواء ، هذا من ناحية • ومن الناحية الأخرى تميل علاقات القوة الى التبلور حول علاقات خضوع أو تبعية Clientelist relations • ولا تفهم علاقات التبعية السياسية هنا بالمعنى الذى تطور فى بعض الكتابات الانثروبولوجية ، (٣) فالمتبوع لا يجب أن يكون وسيطا تجاريا ، كما أن العلاقة لا تعنى التبادل بالمعنى الاقتصادى الصرف ، وانما تعنى وجود احساس لدى المتبوع بأنه أفضل من التابع وأنه يجب أن يتحدث باسمه دون تفويض • وفى مقابل ذلك يوجد لدى التابع الاحساس بأن هناك من هو أدرى منه وأصوب فى فهم الأمور • وغالبا ما يتكون هذا الشعور تجاه الشخص الذى يتمتع بقوة اقتصادية أو بسلطة معينة (الأمر الذى قد يغرى بتفسير ذلك على انه ميكانيزم دفاع يطوره الفلاحون تجاه السلطات الاعلى منهم) ولقد كشف الواقع عن أن الفلاحين لا يعبئون باختيار من يسير أمورهم ، بل انهم يسلمون هذه الأمور الى الشخص الذى يحقق مكانة اقتصادية أو اجتماعية بينهم ، أو الى الشخص الأقدر من غيره على تسيير أمور حياتهم اليومية • ولقد كشف الواقع أيضا عن أن هذه التبعية السياسية توجد ـ عند البعض فقط ـ فى شكل علاقات اقتصادية قبل أن توجد فى شكلها السياسى • فالمتبوع يرجع اليه فى كل صغيرة وكبيرة ، وهو واجهة الشخص التابع على العالم الخارجى الذى يحقق الاتصال به من خلاله • وما يهمنا هنا هو أن نؤكد على أن استمرارية هذا النوع من العلاقات يعطى الصفوة القديمة قدرا من الاستمرارية طالما أنها تدعمها وتعمل من خلالها • فتغير شكل الصفوة ـ كأن يدخلها

---

(٣) استخدم علماء الانثروبولوجيا الريفية هذا المصطلح وسوف أشير فى خاتمة البحث الى بعض النتائج التى توصلوا اليها فى هذا الصدد مقارنا اياها بنتائج هذا البحث •

بعض المتعلمين مثلا ـ لا يؤدى الى تغير هذه العلاقات الثقافية ـ السياسية واحلالها بعلاقات أكثر رسمية ، بل يؤدى الى مزيد من التدعيم لهذه العلاقات • وهذه الفئات الجديدة الوافدة على الصفوة لا تسعى الى تغيير هذه العلاقات بقدر ما تسعى الى العمل من خلالها والى تدعيمها • ويمكن القول بأن وجود الصفوة الجديدة قد يمثل فى حد ذاته انشقاقا على هذه العلاقات •

٣ ـ وكما أن لدى الصفوة القديمة ميلا الى عدم تغيير هذه العلاقات فان لها ميلا أيضا نحو المجاراة • ولقد أكدنا هذا المفهوم فى سياق سابق ، ونضيف هنا أن الواقع قد كشف عن أن الصفوة الجديدة لا تدخل الى نطاق الممارسة السياسية من واقع الرغبة أو الاقتناع الايديولوجى ، وانما تدخل الى نطاق هذه الممارسة بالقدر الذ يحقق مصالحها وبالقدر الذى يدعم مكانتها فى الريف بحيث لا تتعرض هذه المكانة الى أى تهديد أو تغيير • ويمكن المحافظة على هذه المكانة • من خلال محاولة الحصول على « مكان » فى **أى نظام** رسمى قائم • ولقد اتضح ذلك بجلاء من خلال الأسباب التى يقدمها أعضاء الصفوة لسعيهم الدائب نحو الدخول فى الانتخابات الخاصة بالمنظمات الرسمية فى القرية • فبالرغم من أنهم يريدون أن « يخدعوا الناس » وأن « يخدموا بلدهم » ، الا أن المقابلات المتعمقة قد كشفت عن أن الشخص يترشح لأن عائلته أو جماعته تريد أن يكون لهم رجل فى هذا المكان ، أو أنه من الواجب أن يأخذ الافراد « العقلاء » فى القرية هذه المناصب والا « فمن سيأخذها اذن ؟ » • ولقد أكد الكثيرون على أن افضل شىء هو أن « يكون فيه ناس من القرية فى كل المجالات والمصالح الحكومية « مثل البوليس والضرائب والزراعة •• الخ • ليست المشاركة السياسية اذن هى الدافع الى ممارسة السياسة ، وانما الرغبة فى تحقيق المكاسب سواء أكانت مكاسب اقتصادية أو مكاسب خاصة بالمكانة الاجتماعية أو مكاسب خاصة بانتزاع الخدمات من فم الحكومة انتزاعا ، أو بمعنى آخر الترافق معها وايجاد مكان فى تنظيماتها وهيئاتها لكى يستطيع المرء أن يحقق بالأسلوب

الشخصى مالا يستطيع أن يحقق بالأسلوب الرسمى • وفى ضوء ذلك فقط يمكن أن تفسر وجود أعضاء من الصفوة فى القريتين ممن كانوا ذات يوم أعضاء بارزين فى الاتحاد الاشتراكى ، وهم الآن أعضاء فى الحزب الوطنى أو المجلس المحلى ، وسوف يكونون أعضاء فى أى تنظيم آخر • انه سلوك الفلاح فى مواجهة الحكومة والسلطة • والصفوة هنا ليست لها خصائص بعيدة عن خصائص الفلاحين ، وهى وسيلة هؤلاء الآخرين نحو تحقيق تكيف مستمر مع الحكومة والسلطة •

هذه هى مجموعة العوامل التى يمكن أن يفسر فى ضوئها الاستمرارية التى تحظى بها الصفوة القديمة ، وهى عوامل ترتبط بطبيعة البناء الاجتماعى ككل ، وطبيعة التغير ذى النمط الخاص الذى يخبره ، ونوعية الثقافة والعلاقات الاجتماعية التى يفرزها هذا البناء والتى تساهم فى اعادة انتاجه بكل ما يحوى من جماعات حتى جماعات الصفوة خاصة فى تركيبها الريفى المحلى •

ثانيا : الصفوة الجديدة : انقطاع التركيب وتحول الموقف

فى مقابل هذه الاستمرارية للصفوة القديمة ، اتسم تركيب الصفوة الجديدة بالانقطاع • ولا يعنى الانقطاع هنا الاحلال الكامل للصفوة الجديدة ، بل يعنى أن الصفوة الجديدة فى فترة ما من الفترات التاريخية لا تنجح فى أن تولد من داخلها عناصر استمرارها • وفى ضوء ذلك ، فان التغير غير المنتظم فى الظروف يؤدى الى تشتت هذه الصفوة ، وان كانت هذه الظروف قد تؤدى الى خلق صفوة أخرى جديدة ولكن على أساس جديد تماما بحيث لا يتحقق الترابط بين الصفوة الاولى والصفوة الثانية ، الأمر الذ ىيترتب عليه مانسميه هنا بالانقطاع أو عدم الاستمرارية •

ويبدو أن الانقطـاع كان سمة تاريخية للصفوة الجديدة • فاحـدى النتائج التى يمكن استخلاصها من التحليل التاريخى الذى قدمناه فى الجزء الثانى من هذه الدراسة أن الصفوة الجديدة كان يتم اجهاضها باستمرار من خلال سيطرة الصفوة القديمة من ناحية ، ومن خلال الميكانيزمات التى يفرزها البناء الاجتماعى للمحافظة على استمراريته من ناحية أخرى • وقد تبدى ذلك

بوضوح فى الصفوة الجديدة التى ناصرت الثورة العرابية ، ونظيرتها التى ناصرت الثورة الوفدية • ولقد تاكد ذلك من خلال دراسة التركيب المعاصر للصفوة الجديدة • فقد افرزت تغيرات ما بعد ١٩٥٢ ـ خاصة تغيرات الستينات ـ صفوة جديدة فى الريف تكونت أساسا من عناصر من الطبقة الوسطى والدنيا • واكتسبت بعض هذه العناصر قدرا من الوعى بظروف التغير التى طرات على المجتمع ، وبأهداف النظام الجديد • غير أن هذه الصفوة لم تستطع أن تحقق بتركيبها هذا استمرارا • فلم تستمر معظم عناصرها حاملة نفس الخصائص الطبقية والثقافية التى منحتها صفتها كصفوة جديدة، اعنى تعارض أصولها الطبقية مع البرجوازية واتخاذها موقفا معارضا من مصالح الطبقة البرجوازية ومن اهدافها • كما أنها لم تستطع أن تولد من بين الطبقات التى تنتمى اليها من يستطيع أن يتخذ نفس الموقف المعارض لهذه المصالح وهذه الاهداف فى ضوء نفس الموقف ونفس المنطلق الأيديولوجى •

وقد يرتبط ذلك بخصائص بنائية وخصائص ذاتية ترتبط بالصفوة الجديدة نفسها على ما سنوضح فيما بعد • ولكن الحقيقة التى تبدت من خلال تتبع تركيب الصفوة الجديدة تكمن فى أن هذه الصفوة قد فشلت فى اعادة انتاج نفسها ، الأمر الذى جعلها تتبدد أمام التغيرات التى طرأت على البناء الاجتماعى منذ انتهاء العقد السابع من هذا القرن • فبرغم حضور عناصر هذه الصفوة فى السياق المعاصر للريف ، الا أن وزنها كقوة معارضة قد تقلص الى حد بعيد • وبدأت تظهر فى الافق قوة معارضة من نوع آخر ذات خصائص جديدة • وبرغم أن هذه القوة الجديدة تتخذ موقفا انسانيا معارضا ، فان خصائصها ومصالحها وأهدافها ونوعية وعيها ، تجعلها تختلف عن نظيرتها التى لم تنجح فى اعادة انتاج نفسها • لقد اتخذت هذه العناصر الجديدة اتجاها دينيا خالصا ، وأخذت تمارس تأثيرها ودورها من خلال هذا الاتجاه الدينى • فهى تخلط الدين بالسياسة ، وتدعى أنها تسعى لتحقيق المجتمع المسلم • وهى تنتج وجهة نضالية تختلف عن وجهة صفوة الستينات • فهى ـ من ناحية ـ لا تجد غضاضة فى التحالف مع بعض عناصر من الصفوة القديمة من ذوى الاتجاه الدينى وذوى الثقل السياسى ، وهى من ناحية أخرى

لا تتجه نحو التصادم والصراع مع الصفوة المسيطرة وانما تتجه نحو خلق صراعات جانبية تتصل بمحاربة الاتجاهات الصوفية ومحاربة ائمة المساجد التقليديين الذين لا يؤدون الشعائر وفقا لما تمليه الشريعة • وهى ان اتجهت نحو النشاط السياسى فانها تمارسه مع العناصر المرتبطة بها على مستوى المركز أو المحافظة ، حيث لا يتجه هذا النشاط نحو المواجهة المحلية مع العناصر المسيطرة بقدر ما يتصل بالمواجهة مع الصفوة القومية •

والواضح هنا أن الوجهة النضالية التى تتخذها هذه الجماعات الدينية الجديدة فى الريف لا تترك أثرا على بناء القوة القائم فى الريف ، بل أنها قد تدعم هـذا البناء طالما أنه لا يمنعها من ممارسة الشعائر كمـا يحلو لهـا • وبناء على ذلك ، وبناء على ما أشرنا اليه من تحلل الصفوة الجديدة التى ظهرت فى الستينات ، فمن المتوقع أن تفقد الصفوة الجديدة بصفة عامة تأثيرها وثقلها السياسى أمام السيطرة المتنامية للصفوة القديمة ، وأن تفقد القوة المؤثرة التى تمكنها من توجيه مسار الامور نحو خـدمة مصالحها وخـدمة مصالح الطبقات التى تنتمى اليها • ومن المتوقع أن تتجه بهذه القوة ـ اذا هى امتلكتها ـ وجهة تختلف عن الوجهة التى أخذتها من قبل ، بحيث تخدم هذه الوجهة مصالح الصفوة القديمة واستمراريتها أكثر من خدمة مصالح الصفوة الجديدة • وتبدو الصفوة الجديدة من هذا المنطلق وكأنها تستدمج أو تذوب فى الصفوة القديمة ، وتصبح غير ذات تأثير من واقع موقفها كصفوة جديدة • ويترتب على ذلك أن تكتسب الصفوة المسيطرة قوة فوق قوة طالما أنها تدمج باستمرار عناصر من الصفوة الجديدة وتمتص نضالها ، ويترتب عليه من ناحية أخرى أن تفقد العناصر الباقية من الصفوة الجديدة ـ والتى لم تدمجها الصفوة القديمة ـ تأثيرها وقوتها وتتحول الى موقف النقد بدلا من التأثير المباشر فى صناعة القرار •

ويبدو من هذه الفقرة أن انقطاع تركيب الصفوة الجديدة يرتبط بتحول فى الموقف بحيث يتم دمجها فى معظم الأحيان داخل الصفوة القديمة • والحقيقة أن هذا هو الموضوع الأساسى الذى نود أن نفصل فيه القول قبل أن نتعرف على الأسباب الكامنة خلف هذا الانقطاع وهذا التحول •

لقد افترضت هذه الدراسة منذ البداية وجود هذا التحول ، كما افترضت ارتباطه بالتحول فى الأوضاع الطبقية لاعضاء الصفوة الجديدة ، وبمستوى الوعى والوضوح الأيديولوجى عند هؤلاء الاعضاء ، وباختلاف أساليب الانضمام الى الصفوة والعلاقات القرابية مع الصفوة القديمة • غير أن البيانات الامبيريقية التى حصلنا عليها من الدراسة الميدانية فى القريتين قد أظهرت ضرورة تعديل هذه الصياغة الافتراضية • فقد اتضح من ناحية أن التحول لا يتخذ اتجاها واحدا نحو التغير الكامل بل يتخذ اتجاهات مختلفة تتراوح بين التحول والثبات بحيث يمكن وضعها على متصل يكون هذان العنصران قطبيه الرئيسيين • كما أن التحول قد لا يرتبط بالضرورة بتغير الوضع الطبقى أو بمستوى الوضوح الأيديولوجى أو العلاقات القرابية ، فهذه العوامل لا تعمل بمعزل عن الخصائص البنائية والثقافية العامة للمجتمع ككل وطبيعة التغير الذى يتميز به هذا المجتمع والسيطرة التى تتمتع بها الصفوة القديمة وقدرتها الفائقة على الاستمرارية • ونعرض فيما يلى لانماط التحول المرتبطة بموقف الصفوة الجديدة (٤) على أن يستتبع ذلك تحليل بنائى للأسباب الكامنة خلف انقطاع تركيب الصفوة الجديدة وتحول موقفها •

كشف الحالات الثمانية التى درست فى القريتين عن وجود أربعة أنماط أساسية على متصل التحول ـ الثبات الخاص بمواقف الصفوة الجديدة نلخصها فيما يلى :

١ ـ **التحول الكامل :** ويشير هذا الموقف الى الخروج كلية من دائرة الصفوة الجديدة ، والاندماج فى صفوف الصفوة القديمة • والاندماج هنا لا يستتبعه توقف عن النشاط السياسى بل يرتبط باستمرار ممارسة النشاط السياسى بشقيه من واقع الصفوة القديمة والدفاع عن مصالحها • وفى حالة عدم الانخراط فى النشاط السياسى الرسمى ، فان الشخص المتحول يعضد ـ

---

(٤) تعتمد هذه الانماط على دراسة حالة ضمت ثمانية من أعضاء الصفوة الجديدة فى القريتين • وسوف أشير هنا الى النتائج العامة المستخلصة من كل حالة دون الخوض فى تفصيلات قد لا تهمنا كثيرا •

من خلال اى ثقل يتمتع به ـ اعضاء الصفوة القديمة ويساندهم فى مواقفهم ونشاطهم السياسيين • غير أن الاندماج فى صفوف الصفوة القديمة لا يلغى نهائيا خبرة الصراع الذى دار بين عناصر الصفوة القديمة وبين العناصر المتحولة من الصفوة الجديدة ، الأمر الذى قد يؤثر على مكانة هؤلاء الاعضاء المتحولين داخل الصفوة القديمة •

ولقد كشف حالتان من الحالات المدروسة فى القريتين عن وجود هذا النمط من التحول • ففى الحالة الاولى (القرية الاولى) كان عضو الصفوة الجديدة يبحث عن دور سياسى داخل نطاق الممارسة الرسمية • ولقد دخل فى معظم الصراعات حول ترشيحات وانتخابات الاتحاد الاشتراكى فى القرية التى نجح فى بعضها بعد محاولات • كما دخل فى معظم الصراعات التى اثارتها المسائل المطروحة فى نطاق الممارسة السياسية والتى أشرنا الى بعضها فى الفصل السابق • ومع بداية السبعينات حقق هذا العضو حراكا اجتماعيا كبيرا نتج عن التجارة والزراعة الرأسمالية • ولقد صاحب هذا التحول فى الموقف الاجتماعى حيث ظهر عنده الاستعداد للعمل مع الصفوة القديمة • ولقد مر بعض الوقت قبل أن تدمجه الصفوة القديمة داخل صفوفها دمجا كاملا • ولقد كان لدى هذا العضو ميل قديم نحو التعاون مع الفئات المسيطرة داخل القرية ، فقد وفد الى العمل السياسى من خلال تمثيل قرابى الأمر الذى ساعد على سرعة دمجه داخل الصفوة القديمة • وحدث نفس الشىء تقريبا فى الحالة الثانية (القرية الثانية) مع اختلاف فى درجة الحراك الاجتماعى • فعضو الصفوة الجديدة هنا تحول فى موقفه دون أن يصاحب هذا التحول تغير فى الوضع الطبقى • ومؤشر التغير عند هذا العضو كونه كان عضوا بالتنظيم الطليعى ، ولقد جاهد كثيرا فى وجه الصفوة المسيطرة قبل أن يدخل الى الاتحاد الاشتراكى ، وما أن تغير تنظيم الاتحاد الاشتراكى حتى سارع بالانضمام الى منبر الوسط ، فحزب مصر ثم الحزب الوطنى • ولقد حاول مع بعض العناصر المسيطرة فى القرية أن يؤسس لجنة للحزب الأمر الذى أدخله فى صراع مع بعض العناصر المسيطرة الأخرى على نحو ما أشرنا فى الفصل السابق • ويبرر هذا العضو انضمامه للحزب وتعاونه على هذا النحو مع الصفوة المسيطرة بالقول بأنه

قرأ كل برامج الأحزاب وأنه اعجب ببرنامج حزب التقدم ، ولكن احد اقربائه نصحه بالدخول فى الحزب الوطنى • ولأنه يهوى العمل السياسى فقد حاول تشكيل لجنة الحزب•وتشير هاتان الحالتان الى أن التحول فى الموقف لا يرتبط بالضرورة بتحول جذرى فى الوضع الطبقى ، وأن الارتباط يبدو قائما بين عدم تحدد الوعى وعدم نضوجه وبين التحول • غير أنه قد يرتبط أيضا باستعداد الصفوة القديمة لقبول العضو المتحول بين صفوفها ، حيث كشف تتبع الحالتين عن أن الصراع بين الصفوة القديمة والصفوة الجديدة التى دخل كل عضو من هذين العضوين فيه ينتهى دائما الى تقارب بين الصفوة الجديدة والصفوة القديمة • يبدو أن كل عضو من هذين العضوين قد بدأ النشاط السياسى من موقع يقترب من موقع القوة ، وهى قوة مستمدة من القرابة على ما يبدو • غير أن ذلك لا يجب أن يغرينا برفض الحراك الاجتماعى على اطلاقه ، فهو قائم على أى حال كما ظهر ذلك من الحالة الاولى • ويبدو أنه يلعب دورا أساسيا فى عملية دمج العضو المتحول فى صفوف الصفوة القديمة حيث اندمج العضو الذى حقق حراكا اجتماعيا بسرعة تفوق العضو الذى لم يحقق هذا الحراك •

٢ ـ الانسحاب من النطاق السياسى الرسمى : ويشير هذا الموقف الى الابتعاد عن نطاق العملية السياسية الرسمية خاصة مسائل الترتيب للترشيح للانتخابات والمسائل التى تطرح من خلال التنظيمات الرسمية فى القرية ، أو من خلال النطاق الرسمى بصفة عامة•ويصاحب موقف الانسحاب من النطاق الرسمى عادة الانخراط بشكل أكبر فى نطاق الممارسة الشعبية حيث يظهر الاحساس لدى العضو المنسحب بأن هذا النوع من الممارسة هو المكان الذى يستطيع من خلاله أن يقدم خدمات اكثر الى الناس • ولقد توافقت حالتان من الحالات التى درست فى القريتين مع هذا النمط من التحول • ففى الحالة الاولى (القرية الاولى) ارتبط الانسحاب بمزيد من الوعى الدينى الذى يرتبط بدوره بالاحساس بأن الأمور قد سارت الى أسوأ • والمعيار الذى تقاس به الامور هنا هو معيار أخلاقى فى المحل الأول • فقد ظهر الاعتقاد عند العضو

المنسحب هنا بأن الحياة قد انتهت الى اضفاء اهمية على الاشخاص الذين لا يستأهلون ذلك ، وأن الناس لم تعد تحترم الافراد القادرين على حل مشكلاتهم الواقعية • غير أن الاستقرار المادى موجود فى الصورة أيضا • فقد حقق هذا العضو قدرا من الاستقرار المادى ، فضلا عن أن موقعه الدينى يفرض عليه فى الكثير من الأحيان العمل مع الصفوة القديمة خاصة فى نطاق الممارسة الشعبية • ويبدو أن الانسحاب هنا مرتبط بعدم الرغبة فى مزيد من التصادم مع الصفوة القديمة ، وهى رغبة نابعة من الاحساس بأن « للنضال أوقاته » وأن الافضل هو ترك الفرصة للجيل الصاعد ليأخذ على عاتقه هذه المهمة • غير أننا لا نتوقع أن يعمل هذا الاحساس بمعزل عن الاستقرار الاقتصادى من ناحية ، والالتقاء من بعيد مع الصفوة القديمة من ناحية أخرى ، وقبول الصفوة القديمة له ورغبتها واستعدادها لمشاورته والتعاون معه من ناحية ثالثة • ولقد تأكد ذلك من خلال الحالة الثانية (القرية الثانية) التى تشير الى وجود هذا النمط من التحول • يعد العضو المنسحب فى هذه الحالة أكثر عناصر الصفوة الجديدة فى القرية الثانية وضوحا من ناحية الوعى • فهو على وعى بالتحول **الرأسمالى** الذى طرأ على المجتمع المصرى فى السبعينات، وقد عبر عن عدم رغبته وعدم قدرته على المشاركة السياسية فى نظام رأسمالى • غير أن هذا التحول الانسحابى قد جاء بعد حادثتين فى حياته : الاولى رسوبه فى آخر دورة ترشح لها فى الاتحاد الاشتراكى ، الثانية ذهابه الى اعارة عاد بعدها ثريا بمقياس القرية • وتشير الحادثة الاولى الى ارتباط بين رفض الصفوة القديمة له وبين نمو درجة وعيه ، وتشير الحادثة الثانية الى ارتباط حراكه الاجتماعى وبين انسحابه • غير أن رفض الصفوة القديمة قد تغير بعد أن حقق هذا الحراك الاجتماعى،ولا يمكن القول الآن بأنه شخص غير مرغوب فيه• فالانسحاب بالنسبة للصفوة القديمة يمثل عملية تحييد ترغب فيها• ومن ناحية أخرى فان هذا العضو لا يتجه بوعيه نحو نقد الصفوة المسيطرة فى القرية أو مصارعتها ، وانما يتجه به نحو السياسة القومية • وبناء على ذلك ، فانه لا يظهر عداء باديا تجاه العناصر المسيطرة فى القرية • وهو كثيرا ما يشترك معهم فى حل المشكلات اليومية فى القرية • وكل ذلك يشير الى أن الاستقرار الاقتصادى والتوافق غير المرئى بين العضو المنسحب وبين

الصفوة القديمة ، فضلا عن وجود نوع من الوعى بالظروف المحيطة والتغيرات التى ادت اليها كلها عوامل مرتبطة بعملية الانسحاب ٠

(٣) التذبذب بين التحول والثبات : ويشير هذا الموقف الى نوع من التقلب السياسى بين معارضة الصفوة القديمة وتأييدها ٠ وتظهر المعارضة او التأييد فى مواقف مختلفة ترتبط فى بعض الأحيان بدرجة استعداد جماعة الصفوة القديمة لافساح المجال لهؤلاء ليلعبوا دورا سياسيا ٠ ويظهر موقف التأييد عندما تفسح الصفوة القديمة المجال لممارسة مثل هذا الدور أو حتى لممارسة قدر ـ ولو طفيف ـ من التأثير ٠ وتظهر المعارضة عندما تجنح الصفوة القديمة نحو انكار أى دور سياسى لهؤلاء الافراد ٠ ولقد أشارت حالتان من الحالات التى درست فى القريتين عن وجود هذا النمط ٠ فالحالة الاولى (القرية الاولى) تميل بطبيعتها الى معارضة الصفوة القديمة ٠ ولقد كان عضو الصفوة الجديدة هنا زعيما للجماعة التى خاضت صراعا مع الصفوة القديمة فى الستينات ٠ وعضو الصفوة الجديدة هنا لديه قدر من الوضوح الايديولوجى فيما يختص بطبيعة الموقف المحيط والظروف التى تحكم مسار المجتمع الآن ٠ ولم يتغير كثيرا من حيث الوضع الطبقى ٠ ولكن ظهر هنا ميل نحو التعاون مع الصفوة القديمة أو حتى التحالف مع بعض عناصرها ٠ ويرجع هذا الى بداية الأسلوب الذى اتبعته الصفوة الجديدة للدخول الى صفوف الاتحاد الاشتراكى٠ولقد انتهى هذا الميل الى استعداد للعمل مع الصفوة القديمة ظهر فى الكثير من المواقف ٠ ولكن عضو الصفوة الجديدة لم يتورع فى نفس الوقت عن الدخول فى صراع مع العناصر المسيطرة حين شاهد أن الأمور تسير فى تيار لا يرغب فيه أولا يلتفت اليه ٠ ولا يرجد فى الحالة الثانية (القرية الثانية) هذا القدر من التحدد الايديولوجى ، ولكن التذبذب قائم ، وهو مرتبط فى هذه الحالة بقدر من الرغبة فى شغل مكان مرموق فى نطاق الممارسة السياسية ٠ ويظهر الاستعداد للتعاون مع الصفوة القديمة عندما تتيح له شغل هذا المكان،ويظهر الاستعداد للصراع معها عندما تنكر عليه أى دور أو تحاربه بشكل أو بآخر ٠ ولا يرتبط هذا التذبذب فى الموقف بأى

تغيرات جذرية فى الوضع الطبقى • ويبدو أن التذبذب فى الحالتين يميل نحو تأييد الصفوة القديمة • على أن يعود الشخص الى موقف الصراع عندما يلمس انكارا من هذه الصفوة لمكانته ودوره • فالصراع هنا يعد صراعا على تدرج المكانة أو الهيبة داخل الصفوة القديمة • ويقل الصراع مع التغير التدريجى لهذا التدرج ، والذى يصاحبه ادماج تدريجى للعضو الذى ينتمى الى الصفوة الجديدة داخل الصفوة القديمة •

(٤) الثبات النسبى على الموقف : اذا كانت كل المواقف السابقة تميل الى الالتقاء ـ بشكل أو بآخر ـ مع الصفوة القديمة ، فان هذا الموقف يشير الى عدم الالتقاء كلية مع الصفوة القديمة • ويرتبط هذا النمط بموقفين متطرفين : احدهما موقف الصفوة القديمة التى لا تقبل المساومة أو المفاوضة مع هذا العنصر المنشق ، والآخر هو موقف الصفوة الجديدة التى لا تجد من سبيل الى الدخول فى نطاق الممارسة السياسية • ولقد كشفت حالتان من الحالات التى درست عن وجود هذا النمط • ولا تشير هاتان الحالتان الى ارتباط بين الثبات على الموقف وبين درجة الوعى • حقيقة أن كل عضو ثابت منهما يميل الى عدم الرضا عن الأوضاع وعن مدى السيطرة التى تمارسها الصفوة ، ولكن عدم الرضا هذا لا يصل الى مستوى الوعى المحدد لطبيعة الظروف التى تتحكم فى نمط القوة السائد وللظروف التى تعمل فيها كل من الصفوة القديمة والجديدة • وطالما أن الثبات على الموقف هنا لا يرتبط بتحدد ايديولوجى فانه يمكن أن يفسر فى هاتين الحالتين بما يلى : (أ) الموقف الاقتصادى والوضع القرابى للشخص الثابت على موقفه ، وتشير الحالتان الى ضعف الموقف الاقتصادى وعدم تغيره بسرعة بل عدم امكانية تغيره بسرعة ، كما تشيران الى عدم وجود رصيد قرابى (الحالة الاولى لم تدمج بعد فى الاطر القرابية المعترف بها فى القرية ، والحالة الثانية ليس لها من القوة داخل المجموعة القرابية التى تنتمى اليها بحيث يمكن التحدث باسمها فضلا عن أن القرية ككل تقوم على عدم التوازن القرابى) (ب) النهج النضالى الذى انتهجه كل من هذين العضوين ، فقد تصديا للصفوة القديمة من خلال الشكاوى فى الوقت الذى حاولا فيه الدخول الى نطاق الممارسة

الرسمية من خلال الترشيح فى الاتحاد الاشتراكى • ولقد أدى هذا الأسلوب فى المواجهة الى تكوين الانطباع لدى الصفوة القديمة بما سيكون عليه السلوك السياسى لهما اذا ما تم ضمهما الى نطاق الممارسة الرسمية حيث يمكن أن يتجه هذا السلوك نحو كسر الاتفاق الذى تخلقه الصفوة القديمة • (حـ) ولقد ترتب على هذا أن سعت الصفوة القديمة سعيا مستميتا لحجز العضو من هذا النوع خارج نطاق الممارسة السياسية الرسمية والشعبية ايضا بحيث يمكن القول أن موقف الثبات قد فرض عليهما فرضا • كما فرض عليهما بالتالى استمرار حالة الصراع مع الصفوة القديمة من خلال الشكاوى التى تمس التموين والخدمات بعامة فى القرية والتى لا تخلو من الاشارة بأصابع الاتهام الى عناصر الصفوة المسيطرة (٥) •

ولا أعتقد أن البيانات السابقة كافية لتقديم تعميم فيما يختص بالعوامل السببية المباشرة فى التحول الذى يطرأ على موقف الصفوة الجديدة • فلا يمكن القول بالتحول فى المستوى الاقتصادى لأن التحول فى الموقف قد ظهر دون وجود تحول فى المستوى الاقتصادى ، كما لا يمكن القول بعدم التحدد الايديولوجى فضلا عن أن هذه سمة عامة بالنسبة للصفوة ، فقد ظهر التحول أو الانسحاب أو التذبذب فى وجود قدر من الوضوح الايديولوجى • غير أن الملاحظة العامة هى أن وجود أى ارتباط ظاهر بين أحد العوامل ـ كالحراك الاجتماعى ـ وبين التحول أو الانسحاب لا يعمل بمعزل عن استعداد الصفوة القديمة لدمج العضو المتحول أو التوافق والتعاون مع العضو المنسحب • ويظهر هذا جليا فى موقف الثبات ، حيث لا يظهر أى استعداد لدى الصفوة المسيطرة لدمج العضو المنشق بحدة الى صفوفها ، أو حتى السماح له بالدخول الى دائرة الممارسة السياسية من موقع الصفوة الجديدة • ويمكن القول تفريعا

---

(٥) لجأت الصفوة فى القرية الاولى لمنع الشكاوى أو التقليل منها الى التوصل من خلال مجلس عرفى عقد مع هذا الشخص الى اتفاق بتوقيع عقوبة على من يقدم شكوى ، وكان هذا العضو من الصفوة الجديدة هو أول من طبق عليه هذا المبدأ فى نفس هذا المجلس العرفى الذى كان منعقدا أصلا للتحقيق فى شكوى ادعت الصفوة انها أضرت بالبلد جميعا •

على ذلك بأن دخول أى من أعضاء الصفوة الجديدة الى التنظيمات الرسمية لم يكن يتم بمعزل عن الموافقة ـ الضمنية ـ للصفوة القديمة • ولهذه الموافقة الضمنية تأثير على أى حال • فهى قد تشير الى عملية انتقاء للعناصر التى تتوقع أن تتعاون وتتحالف معها فى المستقبل ، حتى وان كانت متمردة فى اللحظة التى تدخل فيها الى دائرة الممارسة الرسمية • ويعنى هذا أن استمرارية أو عدم استمرارية الصفوة الجديدة ، وكذلك تحولها فى الموقف أو ثباتها يتحدد من خلال هيمنة الصفوة المسيطرة ، ومن خلال تركيب الصفوة الجديدة وخصائصها التى لا تسمح لها بثبات نسبى واستمرارية نسبية • ويمكن ربط هذين العاملين بالخصائص البنائية العامة ، كما يمكن من خلالهما تفسير انتطاع تركيب الصفوة الجديدة واستعدادها للتحول سواء على مستوى قومى أو مستوى محلى • ويتم ذلك على النحو التالى :

(١) أن البناء الاجتماعى يمنح السيطرة والهيمنة للصفوة القديمة فى تشكيلاتها المختلفة ، وبالتالى تسعى هذه الصفوة وهذا البناء نحو محاصرة جهود الصفوة الجديدة التى تنتهى دائما الى طريق مسدود • ويمكن فى ضوء هذا العامل تقديم تفسير ملائم لانقطاع الصفوة الجيدة التى ظهرت فى الستينات وفشلها فى اعادة انتاج نفسها ، سواء على مستوى قومى أو مستوى محلى • فرغم التغيرات التى حدثت فى هذه الفترة لصالح الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا فان هذه التغيرات لم تؤد الى صعود أو تأثير للعناصر النشطة التى دافعت عن النظام من واقع شعور بالعلاقة بين نجاح النظام ومصالحها الحقيقية ، والتى شكلت الصفوة الجديدة فى هذه الفترة• وفى نفس الوقت لم تضع هذه التغيرات أى ميكانيزمات للحد من سيطرة الفئات التى ورثت كبار الملاك ، والتى كان النظام قد تصالح معها فى فترة الخمسينات • ففى غياب مثل هذه الميكانيزمات ، استطاعت هذه الفئات أن تسيطر على مقدرات الأمور فى المحليات ، كما استطاعت ان تسيطر على تنظيمات النظام وقنوات الممارسة السياسية التى أتاحها وأن تستخدمها لخدمة مصالحها دون أى ايمان بأهداف النظام ودوافعه ، وقد أدى ذلك الى تقلص مستمر لدور العناصر الجديدة •

(٢) ومن ناحية أخرى ، فان طبيعة الصفوة الجديدة وخصائصها وأسلوبها فى العمل قد ساعد على نجاح الصفوة القديمة فى هذه الهيمنة وعلى فشل الصفوة الجديدة فى اعادة انتاج نفسها • ومرة أخرى تشترك الصفوة الجديدة على المستوى القومى وعلى المستوى المحلى فى هذه الطبيعة وتلك الخصائص • فهذه الصفوة لم تحقق درجة عالية من الوعى بمصالحها وبالموقع الذى تناضل منه تمكنها من تحقيق قدر من الاصالة يمنعها من الدخول فى صراعات على السلطة من ناحية ، ويحقق لها قدرا من الثبات على الموقف من ناحية أخرى • فمن الحقائق التى كشفت عنها الدراسة الميدانية فى القريتين عدم تكتل الصفوة الجديدة فى جبهة واحدة أثناء صراعها على الدخول الى لجان الاتحاد الاشتراكى ، وقد استخدم كل منهم الوسيلة التى يراها مناسبة حتى وان كانت هذه الوسيلة هى التحالف مع جماعة من الصفوة القديمة • كما كشفت الدراسة الميدانية أيضا عن وجود استعداد لدى كثير من أعضاء الصفوة نحو تغيير موقفها بمجرد تحقيق أدنى قدر من المكانة داخل تدرج الهيبة فى القرية ، وبمجرد استعداد الصفوة القديمة لقبولهم والتعاون معهم ؛ كما كشفت أيضا عن أن هذه الصفوة لم تصل بوعيها الى درجة تمنعها من التصارع مع بعضها أثناء الممارسة السياسية • ولقد أدت كل هذه الأمور الى أن تهن هذه الصفوة وتضعف أمام الصفوة القديمة وأن تتوقف عن اعادة انتاج نفسها بمجرد حدوث أول تصادم حقيقى بينهما •

وفى ضوء هذين العاملين لم تنقطع الصفوة الجديدة عن اعادة انتاج نفسها فقط ، بل تهيأت الفرصة للصفوة القديمة للقضاء عليها ومحاصرة التغيرات التى حدثت فى البناء الاجتماعى فى ضوء مصالحها • وفى ضوء ذلك يمكن أن نفهم أسباب سقوط النظام الاشتراكى فى نهاية الستينات ، والتحول الى نظام أكثر ليبرالية على المستوى الاقتصادى يتيح أكبر فرصة للطبقة البرجوازية لتحقيق مظاهر قوتها الطبقية وأكبر فرصة للصفوة البرجوازية لتحقيق مظاهر قوتها السياسية •

خاتمة

نود فى هذه الخاتمة أن نناقش بعض القضايا التى يثيرها التحليل النظرى والامبيريقى السابق • وبشكل أكثر تحديدا فاننا نود أن نعرض لمدى اختلاف النتائج التى توصلت اليها هذه الدراسة عن نتائج الدراسات التى انطلقت من اتجاهات نظرية مختلفة ، ومدى تقاربها مع نتائج بعض هذه الدراسات • وفضلا عن ذلك ، فاننا نود أن ننوه الى دلالة ـ وجدوى ـ المنطلق النظرى والمنهجى الذى استهدت به هذه الدراسة بالنسبة لدراسة المجتمع الريفى فى المجتمع المصرى ، والى الموضوعات التى يجب أن يتركز عليها البحث فى المستقبل •

واقدم فى البداية عرضا مختصرا لأهم نتائج هذه الدراسة • وهنا يمكن أن نتحدث عن نوعين من النتائج : نوع عام يتصل بالمجتمع الريفى وعلاقته بالمجتمع القومى ، ونوع خاص يتصل بجماعات الصفوة ، وأشكال التفاعل فيما بينها • ومن النتائج العامة التى يمكن الاشارة اليها ارتباط المجتمع الريفى ارتباطا وجوديا بالمجتمع ككل ، وتداخل العلاقات التى تظهر بين المستوى القومى والمحلى ، تلك العلاقات التى تتحدد فى الفترات التاريخية المختلفة طبقا لدرجة القوة التى تتمتع بها كل من الصفوة القومية والصفوة المحلية • ومن النتائج المتصلة بهذا النوع أيضا تعددية بناء المجتمع الريفى من حيث أشكال النشاط الاقتصادى والمستويات القيمية ومن حيث الجماعات السياسية وأشكال السلوك الذى يميز هذه الجماعات • على أن هذه التعددية ترتبط أيضا بالتعددية الضاربة بجذورها فى المجتمع ككل • فاذا كان المجتمع الريفى هو المتلقى الأخير للتغيرات الاجتماعية الاقتصادية فان ذلك لا يعنى أن هذه التغيرات لم تؤثر على بنائه وتركيبه الداخلى • فما فتئت التغيرات تدخل الريف ، حتى تعرض بناؤه للانقسام والتعدد • غير أنه انقسام وتعدد

لا يؤدى الى حداثة على ما يبدو ، وانما يؤدى الى كثير من مظاهر التناقض والتعارض على المستويين الاقتصادى والاجتماعى تتجاور كلها بجانب بعضها الآخر مؤدية فى النهاية الى مزيد من تخلف المجتمع الريفى • غير أن ذلك التنويه الى العلاقة بين المستوى البنائى الكلى والمستوى البنائى الجزئى لا يعنى ـ ولا يتضمن ـ محاولة الحديث عن علاقة سببية ، بمعنى محاولة تأكيد الفكرة التى مؤداها أن بناء المجتمع الريفى يعد أحد نواتج البناء القومى • فمثل هذا القول غير مطروح لانه يحمل مغالطة منطقية حيث يعتبر أن السبب فى حدوث الشىء هو أحد مكوناته ، أو أن السبب فى حدوث الجزء هو وجود الكل • ان ما نقصده هنا بالتحديد هو أن مستوى التحليل يجب دائما أن يركز على العلاقة الجدلية ـ ذات الاتجاهين ـ بين الكل وأجزائه المكونة • والعلاقة الجدلية هنا لا تحمل أى نوع من انواع الاعتماد المتبادل او التساند الوظيفى ، بل انها توحى بامكانية حدوث عدم تكافؤ فى العلاقة بين بعض أجزاء الكل ، وبين الكل وأجزائه المكونة • وفهم هذه العلاقة وغيرها لا يمكن أن يتم الا فى ضوء السياق التاريخى والمعاصر ككل والقوى التى تشكل بناء المجتمع ، وهى قوى تختلف باختلاف السيطرة التى تتمتع بها من فترة الى أخرى وفقا لمتطلبات استمرارية النسق ككل فى كل فترة من الفترات التاريخية •

واذا انتقلنا الى النتائج الخاصة للدراسة فسوف نلمس جوهر هذا الارتباط بين الجزء والكل ـ أعنى جماعات الصفوة وتفاعلاتها فى علاقتها ببنـاء المجتمـع الريفى وببنـاء المجتمع القـومى • فقـد كشـف التحليل الامبيريقى لتركيب جماعات الصفوة عن تعددية بين صفوتين احداهما قديمة وأخرى جديدة ، وعن تعددية داخل كل صفوة على حدة • ونشأت هذه التعددية من التطور غير المتساوق للبناء الاجتماعى • ففى كل فترة من فترات هذا التطور غير المتساوق ، تظهر أهمية طبقة معينة ، وبالتالى جمـاعة صفوة معينة • ولقد ظهرت هذه الجماعات متتالية ولكنها بقيت متجاورة (العمد والمشايخ ، وصفوة البرجوازية الزراعية ، وصفوة الطبقة الوسطى ،

وأخيرا صفوة البرجوازية التجارية الجديدة) ويقل كل هذه فى كل مرحلة تاريخية صفوة جديدة لا يروقها نظام توزيع القوة القائم فتندفع الى تغييره . ويرتبط الانضمام للصفوة القديمة بموقع التأثير أو السلطة الذى تتملكه من جراء ما تتمتع به من قوة اقتصادية . وغالبا ما يرتبط موقع السلطة والثروة الذى تحتله الصفوة بقنوات تدعيمية أخرى ـ تختلف من فترة الى فترة ـ كالقرابة والسن والتعليم ومحاولة عضو الصفوة جعل نفسه حلقة للوصل بين الفلاح ساكن القرية وبين مجتمع المدينة لا ليكسبه حداثة ـ على ما يذهب أنصار الاتجاه التعددى الوظيفى وانما ليسهل عليه مهمة التفاعل معه ويخلق له من القنوات الشخصية ما يمكنه من أن يؤدى بشكل شخصى المهام التى لا يمكن تأديتها بشكل رسمى . وتفكر الصفوة فى نفسها ـ بناء على ذلك ـ على انها هى المجتمع الريفى نفسه الأمر الذى يدفعها الى سلوك سياسى لا يؤخذ فيه رأى الفلاحين ، ومن ثم ينفصل عن هؤلاء الاخيرين انفصالا كبيرا . غير أن هذه الصفوة الريفية تصبح ـ كنتيجة لخضوعها لتناقضات البناء الاجتماعى ـ غير محددة الهوية والوعى ، الا فى بعض الفترات التى يميل فيها البناء نحو التخلص من تناقضاته الداخلية ونحو محاولة خلق قدر من الوحدة من قلب التشتت البنائى القائم . وهذه الفترات هى الفترات التى تهيمن فيها الصفوة الجديدة على المستوى القومى ، وتعطى قدرا من الاهتمام للمجتمع الريفى ولصفوته الجديدة . غير أن الصفوة الجديدة هى الأخرى لا تستطيع أن تنفك عن تعددية البناء ، الأمر الذى يجعلها أكثر ميلا الى التشتت والتمزق ، وعدم القدرة على تحديد الاهداف والوسائل بدقة .

ويتأثر التفاعل الرأسى والافقى بين جماعات الصفوة بظروف البناء الاجتماعى أيضا . فالبناء الاجتماعى ـ فى كل فترة من فتراته المتلاحقة ـ يمنح القوة والسلطة والتأثير لجماعات دون جماعات أخرى . غير أن درجات القوة والسلطة والتأثير تختلف من جماعة الى أخرى ومن نطاق الى نطاق . فأكثر الجماعات تحكما فى الموارد الاقتصادية ـ سواء كان مباشرا أو غير مباشر ـ هى أكثر الجماعات قوة وتأثيرا ، سواء على المستوى القومى أو المستوى المحلى . غير أن الجماعة التى تمتلك القوة والتأثير على المستوى القومى أقوى من نظيرتها

التى تمتلك كلتا الميزتين على المستوى المحلى · وتتقارب الجماعات ـ على مختلف المستويات ـ أو تتباعد وفقا لتقارب أو تباعد مصالحها · وتتحدد فى ضوء ذلك شكل العلاقات الرأسية والافقية التى تدخل فيها جماعات الصفوة على مستوى المجتمع الريفى · وكقاعدة عامة ، فان ظروف استمرارية البناء الاجتماعى فى كل فترة تاريخية تحتم ضربا من التقارب ، ومن ثم التحالف بين النوعيات المتشابهة من الجماعات السياسية على المستوى القومى والمستوى المحلى· وفى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع المصرى فان هذا التحالف قد ظهر دائما بين الصفوة القديمةفى الريف وبين السلطة المركزية ، بالرغم من أن المجتمع قد شهد ـ فى بعض فتراته ـ ميلا من جانب الصفوة القومية نحو عدم التعاون التام مع هذه الصفوة القومية وتمثل حقبة الستينات خير مثال على ذلك · وربما يرجع السبب فى ذلك الى استخدام الصفوة القديمة فى القرى لما يتاح لها من مصادر قوة فى التغلغل الرأسى عبر قنوات الممارسة الرسمية والسيطرة عليها بصرف النظر عن رغبة الصفوة القومية فيها او عدم رغبتها · ويعد هذا أحد الأسباب الرئيسية فى استمرارية تركيب هذه الصفوة · وكقاعدة عامة أيضا ، فان ظروف استمرارية البناء فى كل فترة تاريخية تفرض قيودا على التفاعل الرأسى للصفوة الجديدة · وهذا أمر طبيعى عندما تتلاقى مصالح الصفوة القومية مع مصالح الصفوة المحلية القديمة · ولكن وجود هذه القيود فى الفترات التاريخية التى تسيطر فيها الصفوة الجديدة على المستوى القومى ـ كفترة الستينات ـ هو الأمر المشكل بحق · والتفسير الذى يمكن ان يشتق لهذه الظاهرة من التحليل السابق يرتبط بقدرة الصفوة القديمة على المجاراة ، وبفشل الصفوة القومية الجديدة فى فهم طابع هذا المجاراة ومغزاها · ومع ذلك يبقى القول بان هذه الفترات التى يتم فيها التلاقى بين الصفوة الجديدة على المستوى القومى ونظيرتها على المستوى المحلى هى أكثر الفترات التى تشهد صراعا بين الصفوة القديمة والصفوة الجديدة · ومن أكثر الفترات التى شهدت هذا الصراع فترة التحول الراسمالى فيما قبل الاحتلال البريطانى حيث فرضت ظروف التحول ظهور صفوة مصرية أزاحت الصفوة الأجنبية القديمة وان كانت قد اتخذت نفس مواقفها فيما بعد ، وفترة الستينات حيث فرضت ظروف استمرارية النظام

الاشتراكى اتاحة الفرصة للصفوة الجديدة لكى تدخل بعمق الى دائرة الممارسة السياسية ٠

وفى ضوء هذه الظروف ، فان التفاعل الافقى بين جماعات الصفوة فى الريف لا يتسم بالتكافؤ،وانما يميل نحو فرض القوة من جانب الصفوة القديمة والى هيمنة هذه الصفوة على المسرح السياسى والاجتماعى ٠ ومن ثم فان المسائل التى تطرح على المسرح السياسى والقرارات التى تتخذ بشأنها ترتبط بهيمنة الصفوة القديمة ٠ وهى لا تكتفى فى ذلك بأن تعبىء مشاعر التحيز ضد الصفوة الجديدة من خلال قنوات ثقافية وقرابية ورسمية ، وانما تحاول أن تفرض ضربا من الاتفاق يجعل مهمة الصفوة الجديدة مهمة صعبة ، ويمنعها حتى من الاتصال بطليعتها على المستوى القومى فى الوقت الذى تكون فيه هذه الطليعة فى موقف القوة ٠

ولا تؤدى الظروف البنائية بما فيها من تعدد وتضارب الى ان تتجمع الصفوة فى جماعات سياسية ذات هوية أو ذات أيديولوجية واضحة ٠ وفى هذه الظروف فان دخول الممارسة السياسية الرسمية الى نطاق القرية لا يؤدى الى تصادم بين قديم وجديد ، وانما يتم دمج هذه الممارسة فى الثقافة الشائعة ٠ وهنا تتداخل الممارسة الرسمية مع الممارسة الشعبية ، ويصبح الانتماء الرسمى مجرد وسيلة لتحقيق توافق مع السلطات العليا ، وللحصول على مكاسب شخصية ٠ وفى هذه الظروف ، تفرز الممارسة السياسية ضربا من ضروب الشللية ، وتنتظم مجموعة من علاقات التبعية بين الصفوة والجماهير لها جذور اجتماعية واقتصادية وثقافية ٠

وبهذه الطريقة تستطيع الصفوة القديمة المحافظة على استمرارية تركيبها وثبات موقفها ـ ظاهرا أو كامنا ـ فى الفترات التاريخية الثقافية ٠ والعكس بالنسبة للصفوة الجديدة التى يحاصرها البناء من ناحية ، كما أنها لا تفلت من تناقضاته من ناحية اخرى ٠ ويترتب على ذلك الا تحقق هذه الصفوة استمرارية فى التركيب أو المواقف ٠ فمن حيث التركيب ، نجد أن كل فترة تاريخية تنتج صفوة جديدة ذات طابع مختلف عن نظيرتها فى

الفترة التاريخية السابقة عليها • وهنا فانها تنتهى الى تعددية لا تؤدى الى استمرارية التركيب بقدر ما تؤدى الى انقطاعه ، بعكس الصفوة القديمة التى تنتهى التعددية فيها الى استمرارية فى التركيب • أما من حيث الموقف ، فان عدم التحدد الأيديولوجى عند فئات هذه الصفوة الجديدة ، فضلا عن انعكاس خصائص البناء وتناقضاته عليها ، يؤديان الى أن يميل معظم أعضاء هذه الصفوة الى التحول فى الموقف • والتحول فى الموقف لايسير ـ وكما كشفت المادة الامبيريقية ـ فى خط واحد نحو التحول الكامل على ما افترضت الدراسة ، وانما يتعدد فى درجات تتراوح بين الثبات والتحول الكامل •

وواضح أن نتائج هذه الدراسة تختلف عن النتائج التى ارتبطت بالمناقشات التى عرضنا لها فى الباب الأول • فالتعددية هنا لا تفهم فهما وظيفيا أو عرقيا ، وانما يرد مفهوم التعددية على أصحابه فى صياغة جديدة توضح أن جوهر التعددية الكامنة فى البناء الاجتماعى لا تقوم على التباين البنائى الوظيفى أو السعى نحو تحقيق هذا التباين بقدر ما تقوم على فكرة تعدد وتجاور وتناقض عناصر اقتصادية واجتماعية وثقافية • والتعددية هنا ليست وظيفية فى تغيير النسق بقدر ما هى وظيفية فى تخلفه وتمزقه • وفى ضوء هذا الفهم فان سلوك الصفوة وانفصالها عن الجماهير ومحاولتها التعبئة السياسية من أعلى وغير ذلك من الموضوعات لا تفهم فى ضوء نمط مثالى بقدر ما تفهم فى ضوء بناء المجتمع ذاته فى خصوصيته التاريخية •

ومن الناحية الأخرى ، فان هذه الدراسة لم تنكر التأثيرات الخارجية على البناء الاجتماعى والتى تهتم بها نظرية التبعية ، غير انها أكدت أن فهم التبعية لا يمكن أن يتم بالانخراط فى تحليلات بعيدة عن خصوصية المجتمع التابع نفسه • والخصوصية هنا تفرض علينا أن نبدأ من البناء نفسه وليس محركاته الخارجية • وقد هيأ لنا ذلك الفرصة لكى نلقى الضوء على علاقات ثقافية دقيقة ، وعلى مظاهر للسلوك الفردى والجماعى لا تستطيع نظرية التبعية أن تكتشفها عندما تتخذ من العالم بأسره وحدة للتحليل •

ومع ذلك فان النتائج التى توصلت اليها هذه الدراسة تتفق ونتائج

دراسات أخرى • من ذلك بعض النتائج التى توصلت اليها دراسات حمزة علوى خاصة تلك التى أكدت على تضخم overdevelopment البناء السياسى فى مجتمعات ما بعد الاستعمار ، والتى أكدت أهمية دراسة الروابط القرابية والروابط أو المشاعر الاولية عند دراسة السلوك السياسى للفلاحين (انظر الفصل الرابع) • كما تتفق بعض نتائج هذه الدراسة مع بعض النتائج التى توصل اليها بعض علماء الانثروبولوجيا الريفية ، خاصة تلك المرتبطة بمفهوم سياسة التابع والمتبوع Clientelist Politics • وقد يكون من المفيد أن نشير ـ فى عجالة ـ الى بعض النتائج التى ارتبطت بهذا المفهوم فى الانثروبولوجيا •

تطور مفهوم سياسة التابع والمتبوع فى محاولة لوصف السلوك السياسى للفلاحين الذى يقال أنه ينحو وجهة خاصة فى مواجهة ظروف الفقر والعوز التى يحياها هذا القطاع من سكان المجتمعات • وقد ظهر هذا الربط بين السلوك السياسى وبين مواجهة الفقر منذ أن كتب جورج فوستر G. Foster مقاله الشهير عن « المجتمع الريفى وصورة الخير المحدود » (١) عام ١٩٦٧ ، حيث ربط بين تصورات الفلاحين عن الخير المحدود وبين الاساليب التى يشتقونها لتحقيق قدر من الأمن فى مواجهة البيئة • ويتخذ الفلاحون من هذه الأساليب وسائل للوصول الى الأشياء الخيرة فى الحياة (المحدودة) • ومن هذه الأساليب النظم القرابية بأشكالها المختلفة بما فيها القرابة المتخيلة (الوهمية) ، والتنظيمات العشائرية والاستهلاك المظهرى وما يصاحبه من طقوس • وفى ضوء هذا الفهم تطور مفهوم سياسة التابع والمتبوع ليشير الى أحد هذه الأساليب السلوكية التى ينتهجها الفلاحون ليتكيفوا مع واقع حياتهم الصعب • ويحدد جون دانكان بويل G. D. Powell هذه العلاقة من خلال

---

(١) G. Foster, «Peasant Society and the Image of Limited Good», in; P. Diaz and G. foster (eds.) **Peasant Society** : A Reader, Little BrownZ Boston, 1967.

ثلاثة محاور أساسية : (١) تتطور هذه العلاقة بين طرفين غير متساويين من حيث الثروة والمكانة والتأثير ، (٢) يعتمد تكوين العلاقة واستمرارها على تبادلية السلع والخدمات ، وهى سلع وخدمات ذات طبيعة مختلفة بالنسبة لطرفى العلاقة • فالطرف الاضعف يحصل على سلع وخدمات عينية ، فى حين يحصل الطرف الاقوى على اثابات أقل عينية كالخدمات الشخصية والاعراب عن الولاء واعلاء شأن مكانة الطرف القوى والتصويت له كنائب ، (٣) يعتمد تطور علاقة التابع والمتبوع واستمرارها على علاقات الوجه للوجه بين الطرفين، كما انها ترتبط فى جوهرها بعلاقة اقتصادية تقوم على اشتغال التابع فى أرض المالك ـ المتبوع • وتختلف علاقات التبعية السياسية على هذا النحو عن علاقات القوة الأخرى التى تقوم على القهر والسلطة والسيطرة ، فعندما تصبح تلك الأخيرة أكثر سيطرة وانتشارا تختفى علاقات التبعية السياسية • وترتبط علاقات التبعية السياسية هنا بدور عضو الصفوة كوسيط يربط بين القرية والمدينة خاصة فى العلاقات التجارية التى يترتب عليها علاقات تبعية سياسية • وغالبا ما يكون هذا الشخص الذى يعمل كوسيط تجارى هو نفس مالك الأرض التى يعمل فيها اتباعه • ولا يحقق الاشخاص الذين يلعبون هذا الدور الوسيط قوة على مستوى قومى ، ولكنهم يلعبون دورا فى تحقيق التكامل عند المستوى المحلى وهو ما تود السلطة المركزية أن تحققه (٢) • ولقد حاول سبرنجبورج Springborg تطبيق هذا المفهوم على دراسة الصفوة فى مصر • حيث تتبع وجود هذا النوع من العلاقات فى مصر المملوكية ومصر العثمانية ، وأكد وجوده فى السلوك السياسى للصفوة المعاصره • فقد تحدث عن الدور الذى يقوم به كبار الملاك فى الريف ووجهاء المدينة فى تحقيق قدر من التكامل والتماسك من خلال شبكات من علاقات التبعية السياسية Clientage networks ترتبط دائما بالدور الاقتصادى الوسيط الذى يلعبه عضو الصفوة • ولا يؤثر الذين يقومون بهذا

---

(٢) J.D. Powell, «Peasant Society and Clientelist Politics», A.P.S.R., Vol 64n, No. 2, June, 1970, pp, 411-425

الدور على السياسات العليا ، بقدر ما يحققون التكامل فى المجتمع المحلى، غير أنهم يرتبطون راسيا بعلاقات سلطة غير رسمية عبر قنوات عديدة كالشلة والدفعة والتنظيمات الرسمية كالنقابات والاحزاب التى لا تعتبر فى نظر سبرنجبورج تنظيمات رسمية بقدر ما هى تجمعات تقوم على الولاءات الشخصية (٣) .

وتختلف نتائج هذه الدراسة عن النتائج التى تطورت بشأن مفهوم سياسة التابع والمتبوع ـ والتى اشرت الى بعض منها ـ ويبدو هذا الاختلاف من زاويتين : الزاوية الاولى أن علاقة التبعية فى السلوك السياسى للفلاحين فى مصر لا ترتبط بالضرورة بعلاقات اقتصادية ولكنها قد تقوم على علاقات اقتصادية (علاقة عمل) واجتماعية (علاقة قرابة) وثقافية (علاقة قائمة على احترام الكبار وذوى السلطة) . كما أنها قد لا تكون علاقة وجه لوجه ، حيث نجد أن العلاقة بين التابع والمتبوع فى الانتخاب مثلا قد تتم من خلال طرف ثالث وسيط . ويترتب على هذه الزاوية زاوية أخرى أكثر أهمية : إن افتراض قيام علاقة الوجه للوجه،وافتراض علاقات للسلطة والقهر منفصلة عن علاقات التبعية السياسية،وافتراض الانفصال بين النطاق المحلى الذى تسود فيه هذه العلاقات وبين النطاق القومى حيث لا تنتشر بنفس الدرجة،كل ذلك يوحى بافتراض ثنائية البناء الاجتماعى . وهى ثنائية تقوم على الفصل بين ما هو تقليدى وما هو حديث فعلاقات التبعية السياسية علاقات تقليدية تسود فى المجتمعات البسيطة وتختفى عندما تنمو هذه المجتمعات وتنتشر فيها انماط للقوة والسلطة تختلف عن النمط التقليدى الشائع . وترفض نتائج دراستنا مثل هذه المقولة ، فقد أكد الواقع أن الممارسة الرسمية وما تحمله من علاقات جديدة للقوة والسلطة تدمج وتستوعب داخل العلاقات

---

(٣) R. Springborg, «Pattern of Association in the Egyptian Political Elite», in : G. Lenczowsk, (ed,) **Political Elites in the Middle East,** American Enterprise for publishing Research, Washington, DKC., 1975.

التقليدية بحيث تظهر علاقات التبعية السياسية ـ ضمن علاقات أخرى ـ على انها أحد مظاهر الولاء السياسى الرسمى • وفى هذه الحالة ، فان العلاقات القائمة على السلطة وعلى القهر وغيرها من علاقات القوة الحديثة قد توجد جنبا الى جنب مع علاقات التبعية السياسية • وفى هذه الحالة تصبح تلك الأخيرة أحد الأساليب التى يمكن للفرد من خلالها أن يتجنب قهر السلطة والقوة اللتين يملكهما الافراد المتبوعون • وفضلا عن ذلك فان علاقات التبعية قد تظهر على كل المستويات السياسية ، ويصبح الفرق بين هذه المستويات فرقا فى درجة وضوح هذه العلاقات والاعلان عنها •

وأود أن أشير فى نهاية هذه الخاتمة بكلمات قصيرة الى دلالة الاطار النظرى والمنهجى لدراسة المجتمع الريفى فى المستقبل • ان الانطلاق من الخصوصية التاريخية للمجتمع تفرض اطارها النظرى والمنهجى الخاص • واذا كان اطارها النظرى يتم اشتقاقه من خصوصية المجتمع فان مناهجها يجب أن تتلاءم مع الطبيعة الخاصة للتركيب الاجتماعى الذى تتعامل معه • وباختصار فان ابستومولوجيا الخصوصية التاريخية ، يجب أن تعكس انطولوجيا بناء خاص • وفى ضوء ذلك حاولت هذه الدراسة أن تشتق لنفسها اطارا نظريا ومنهجيا مختلفا ، يقوم الاطار النظرى على الربط بين أكبر مجموعة من العناصر ربطا جدليا عبر المراحل التاريخية المختلفة ، ويقوم الاطار المنهجى على الجمع بين أكثر من أداة لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها ، بحيث تستخدم أية أداة طبقا لدرجة اللياقة المنهجية بين الاداة ومادة الدراسة•ولقد اتضح بعد هذه الدراسة أن بحوث الخصوصية التاريخية يجب أن تستفيد من الجمع بين مناهج علوم اجتماعية متعددة خاصة علوم الاجتماع والانثروبولوجيا والفولكلور ، وان تسعى نحو تحقيق ارتباط عميق بين مناهج هذه العلوم بحيث نستطيع أن نلمس من خلال دراسة واحدة لظاهرة واحدة جوانب عديدة لم تكن لنرى لولا الاعتماد على مناهج علوم مختلفة • وأود أن تكون دراستى قد أسهمت فى تقديم نموذج لما أدعو اليه هنـا •

وأخيرا أود أن أشير بكلمة قصيرة أيضا الى الموضوعات التى أثارتها الدراسة ويمكن أن يتجه اليها البحث فى المستقبل • بادىء ذى بدء لابد من القيام بدراسات طويلة الأمد فى ضوء العناصر الأساسية التى يشتمل عليها النموذج النظرى المقترح فى هذه الدراسة • غير أن هناك كثيرا من المسائل الفرعية التى أثيرت والتى ما زالت بحاجة الى مزيد من التتبع والدراسة • من ذلك مثلا دور المتعلمين فى المجتمع الريفى ، ودور الثقافة الحديثة وأساليب اكتسابها وتجلياتها المختلفة وأثرها على تخلف المجتمع ، ومستوى الوعى عند الجماعات السياسية المختلفة ، ودور الروابط القرابية والعلاقات الثقافية فى استمرارية بناء القوة القائم ، ودور الثقافة الشعبية فى تدعيم علاقات معينة ، وأخيرا وليس آخرا دراسة كل الموضوعات التى درست أو أثيرت فى هذه الدراسة على مستويات بنائية مختلفة •

سلسلة علم الاجتماع المعاصر

صدر منهـا :

الكتاب الأول :

ميادين علم الاجتماع : اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمود عودة ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الثانى :

نظرية علم الاجتمـاع : تاليف نيقولا تيماشيف ، ترجمة الدكاترة محمود عودة ومحمد الجوهرى ومحمد على محمد والسـيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثالث :

أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى : تاليف الدكتور محمود عودة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ٠

الكتاب الرابع :

تمهيد فى علم الاجتمـاع : تاليف بوتومور ، ترجمـة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الخامس :

مجتمـع المصنـع ٠ دراسة فى علم اجتماع التنظيم : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ ٠

الكتاب السادس :

الصفوة والمجتمع : تاليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

الكتاب السابع :

الطبقات فى المجتمع الحديث : تاليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ ٠

الكتاب الثامن :

علم الاجتماع الفرنسى المعاصر : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب التاسع :

قراءات معاصرة فى علم الاجتماع : للدكاترة علياء شكرى ومحمد على محمد ومحمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب العاشر :

دراسات فى التنمية الاجتماعية : تاليف الدكاترة السيد الحسينى ، ومحمد على محمد وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الحادى عشر :

مشكلات أساسية فى النظرية الاجتماعية : تاليف جون ركس ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى ومحمد سعيد فرح ومحمد على محمد والسيد الحسينى، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ ٠

الكتاب الثانى عشر :

التغير الاجتماعى : تاليف الدكتور محمد الجوهرى وآخرين ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الثالث عشر :

دراسة علم الاجتماع : اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى علياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الرابع عشر :

علم الاجتماع الريفى و الحضرى : للدكتور محمد الجوهرى والدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الخامس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع : تاليف اليكس انكلز ، ترجمة وتقديم الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ، ومحمد على محمد ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب السادس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع الصناعى : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب السابع عشر :

علم الفولكلور ـ الجزء الاول : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الثامن عشر :

النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم : تاليف الدكتور السيد محمد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب التاسع عشر :

مصادر دراسة الفولكلور العربى : اشراف الدكتور محمد الجوهرى دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

الكتاب العشرون :

الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية : اشراف الدكتور محمد الجوهرى، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

الكتاب الحادى والعشرون :

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الثانى والعشرون :

علم الفولكلور ٠ الجزء الثانى (دراسة المعتقدات الشعبية) : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الأولى دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثالث والعشرون :

بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى ٠ دراسات ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية فى المملكة السعودية : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الرابع والعشرون :

التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوربية : تاليف الدكتورة علياء شكرى، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الخامس والعشرون :

الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب السادس والعشرون :

دراسات معاصرة فى علم الاجتماع : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب السابع والعشرون :

عادات الطعام فى الوطن العربى : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، تحت الطبع ٠

الكتاب الثامن والعشرون :

الفلاحون والدولة : تاليف الدكتور محمود عودة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب التاسع والعشرون :

تاريخ علم الاجتماع ٠ الجزء الأول : تاليف الدكتور محمد على محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الثلاثون :

علم الاجتماع والمنهج العلمى : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الحادى والثلاثون :

أصول علم الاجتماع السياسى : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الأولى ، ار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثانى والثلاثون :

جماعات الغجر ٠ مع اشارة لغجر مصر والبلاد العربية : تاليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثالث والثلاثون :

الأنثروبولوجيا : أسس نظرية وتطبيقات عملية : تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الرابع والثلاثون :

علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا : تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الخامس والثلاثون :

علم الاجتماع العسكرى ٠ التحليل السوسيولوجى لنسق السلطة العسكرية : تأليف الدكتور أحمد خضر ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب السادس والثلاثون :

الفكر الاجتماعى ٠ نظرة تاريخية عالمية : تأليف هاينز مرس ترجمة الدكتور السيد الحسينى والدكتورة جهينة سلطان العيسى ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ٠

الكتاب السابع والثلاثون :

التنمية والتخلف ٠ دراسة تاريخية بنائية : تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الأولى ، توزيع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثامن والثلاثون :

المدينة ٠ دراسة فى علم الاجتماع الحضرى : تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب التاسع والثلاثون :

النظرية الاجتماعية المعاصرة ٠ دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع ، تأليف الدكتور على ليلة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الأربعون :

علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الحادى والأربعون :

البناء السياسى فى الريف المصرى : تحليل لجماعات الصفوة القديمة والجديدة ، تأليف الدكتور احمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨١٠

الكتاب الثانى والأربعون :

علم الاجتماع امريكى : دارسة لاعمال تالكوت بارسونز ، تأليف جى روشيه ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور احمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الثالث والأربعون :

البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا : المفاهيم والقضايا، تأليف الدكتور على ليلة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الرابع والأربعون :

علم الاجتماع والنقد الاجتماعى ، تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى والسيد الحسينى وعلى ليلة وأحمد زايد ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الخامس والأربعون :

الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث ، تحرير الن مونتجوى ، ترجمة وتعليق الدكاترة محمد الجوهرى وعلى ليلة وأحمد زايد ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ ٠

الكتاب السادس والأربعون :

علم الاجتماع ومشكلات وقت الفراغ ، تأليف الدكتور محمد على محمد، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ٠

الكتاب السابع والأربعون :

علم الاجتماع ، تأليف جونسون ترجمة وتعليق الدكاترة علياء شكرى ومحمد الجوهرى وعلى ليلة واحمد زايد وحسن الخولى ، دار المعارف ، تحت الطبع ٠

الكتاب الثامن والأربعون :

الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث : مدخل اجتماعى ثقافى ، تأليف الدكتور حسن الخولى ٠ تحت الطبع ٠

الكتاب التاسع والأربعون :

المرأة المصرية بين البيت والعمل ، تأليف الدكتور محمد سلامة آدم ٠ تحت الطبع ٠

رقم الايداع : ٤٠٥٦ / ٨١

الترقيم الدولى ـ ٩١٠٢ ـ ٧٣٤٩ ـ ٩٧٧

دار التضامن للطباعة

٢٢ شارع سامى ميدان لاظوغلى

تليفون : ٣٠٥٥٦